الجواهر واقوال العرب فيها

سألنا بعض الفضلاء من المشتغلين بالعلم والترجمة ان يجمع لهم اسماء الجواهر وما يقابلها في الانكليزية او الفرنسوية من اللغات الاوربية وكنا قد عثرنا على كتاب عربي قديم في المكتبة الخديوية لاحمد بن يوسف التيفاشي المتوفى سنة ٦٤٠ للهجرة وضمّنه ذكر الاحجار التي في خزائن الملوك والرؤساء وقال انها خمسة وعشرون وهي الجوهر والياقوت والزمرّد والزبرجد والبَجَشْ والبَنَفْش والجادي والماس وعين الهر والبازهر والفيروزج والعقيق والجزع والمغناطيس والسنباذج والدهنج واللازورد والمرجان والسبج والجشت والخاماهان والشم واليشب والبلور والطلق. وتكلم على كلٍّ منهما كلاماً سهلاً يستدلُّ منهُ على ان العرب كانوا يطلقون بعض هذه الاسماء على اكثر من نوع واحد من الحجارة. وعثرنا ايضاً على مقالة مسهبة في هذا الموضوع للمسيو كلن مولّه نشرت في المجلة الاسيوية الفرنسوية Journal Asiatique سنة ١٨٦٨ فاستعنا بهما وبغيرهما من الكتب العربية والافرنجية على كتابة المقالة التالية عساها ان تفي بالغرض المطلوب وقد ذكرنا فيها اسم كلٍّ من هذه الحجارة بالعربية والانكليزية كما ترى

(١) الجوهر Pearl

قال التيفاشي "الجوهر اسم يطلق على الكبير منهُ والصغير فما كان كبيرًا فهو الدر وما كان صغيرًا فهو اللؤلؤ" وفي شفاء الغليل ان الجوهر معرَّب گوهر بالفارسية. وقال التيفاشي في مكان آخر الجوهر اسم عام لجميع الاحجار المعدنية ثم خُصَّ به هذا بعينهِ لفضلهِ عليها وان من خواصهِ في نفسهِ انهُ يكون قشورًا رقاقًا طبقة على طبقة وما لم يكن كذلك فليس بجوهر تحقيق بل مدلَّس مصنوع. وان افضل الجواهر المفردة القارَّة وهي المستديرة الشكل في جميع جهاتها المستوية التي لا تضريس فيها ولا طول ولا تفرطح ولا اعوجاج وتسمى عند عامة الناس المدحرجة وعند الجوهريين خاصة القارَّة. ثم فصَّل كيفية الغوص على اللؤلؤ وتقدير ثمنهِ وجلاء سطحهِ مما لا غرض لنا ببسطهِ الآن

(٢) الياقوت Corundum

الياقوت كلمة يونانية على الارجح اطلقها العرب على انواع مختلفة من الحجارة الكريمة كما تطلق كلمة corundum عند الافرنج الآن. قال التيفاشي الياقوت اربعة انواع احمر واصفر وسمائجوني (او ازرق) وابيض

(١) فالاحمر (ruby) منهُ ينقسم الى اربعة اقسام الوردي وهو احمر على لون الورد

يتفاضل في شدة الصبغ الى حد الوردية ولا يجوز ذلك ويقل صبغه الى ان يضرب من البياض ثم البهرماني وهو احمر رقيق حتى ينتهي ان لون البهرمان او العصفر ويقابل في الانكليز rubicelle او vermeil ثم البنفسجي وهو الاكهب ويقابل في الانكليزية almandine ruby

(٢) والاصفر Topaze ثلاثة انواع الرقيق وهو قليل الصفرة كثير الماء ساطع الشعاع. والخلوقي وهو اشبع صفرة من الرقيق . والجلناري وهو اشد صفرة من الخلوقي واشد شعاعاً واكثر ماء وهو اجوده . والظاهر انه الياقوت الاصفر الشرقي oriental topaze

وتسم الياقوت الاصفر في مكان آخر الى جلناري ومشمشي واترجي وتبني

(٣) والاسمانجوني او الازرق (Sapphire) وهو خمسة انواع الازرق واللازوردي والنيلي والكحلي والزيتي

(٤) والابيض (White Sapphire) وهو نوعان المهائي نسبة الى المها اي البلور والذكر وهو اثقل من المهائي واقل شعاعاً واصلب جوهراً وثمنه ارخص اثمان جميع اصناف اليواقيت . اما القدماء فكانوا يعنون بالياقوت الذكر ما ضرب لونه الى النيلية وبالانثى ما قارب لونه البياض

(٣) الزمرد Emerald

قال التيفاشي ان الفارابي قال في كتابه في اللغة ان الزبرجد تعريب الزمرد وليس كذلك بل الزبرجد نوع آخر من الحجارة يأتي ذكره بعد هذا الباب . وجاء في تاج العروس في الكلام على الزبرجد انه من انواع الزمرد . وهو اقرب الى الصواب لان الزمرد emerald والزبرجد beryl نوعان من نوع واحد. وقال التيفاشي انه يؤتى بالزمرد من النخوم من بلاد مصر والسودان خلف اسوان ويوجد هناك جبل يسمى كالجسر فيه معادن تحفر فيخرج منها الزمرد. واجبه في رئيس المعدنيين بمصر المكلف من قبل السلطان بهذا المعدن ان اول ما يظهر منه شيء يسمونه الطلق وهي حجارة سود اذا احمي عليها في النار خرجت مرقشيتا ذهبية قال ثم تحفر فتجد طلقاً هشاً فيه الزمرد في تربة حمراء لينة مشتملة عليه . واصناف الزمرد اربعة الذبابي والريحاني والسلقي والصابوني . فالذبابي اخضر مفتوح اللون جداً لا يشبه خضرته شيء اخضر من الالوان كلها حسن الصبغ جيد المائية وانما قيل له الذبابي لشبه لونه بالخضرة التي تكون في اكبار من الذباب الربيعي الموجود في البساتين لا في صغاره الموجودة في البيوت وهو احسن ما يكون من الخضرة ببصيص . واما بقية الاصناف المذكورة من الزمرد غير الذبابي فانها نازلة مقصرة عن جميع الخواص الموجودة في الذبابي كالريحاني فانه منفتح اللون كلون ورق الريحان ودونه السلقي كلون السلق ودونه الصابوني كلون الصابون ولا قيمة له يعتد بها

واحسن اصنافهِ الذي يضرب الى البياض مع كدرة ويسمّى العربي وهو موجود في برية العرب في ارض الحجاز

(٤) الزبرجد Beryl

قال البيروني "انهُ يكون في معدن الزمرُّد ويؤخذ منهُ الاَّ انهُ قليل اقل وجودًا من الزمرُّد واما في هذا التاريخ الذي وضعت فيهِ هذا الكتاب وهو عام اربعين وستمئة فانهُ لا يوجد في المعدن اصلاً وانما الموجود منهُ في ايدي الناس على قلتهِ فصوص تستخرج بالنبش من الآثار القديمة التي بثغر الاسكندرية حرسهُ الله تعالى. وانها من بقايا كنوز الاسكندر. اخبرني من نبش عليها بثغر الاسكندرية من الجوهريين انهُ استخرجها من المواضع المذكورة واراني بعضهم منها فصوصاً وقال كنت اجد الفص وعليهِ نشرة بنفسجية قد سترت لونهُ فاذا جلي خرج في غاية صفاء الجوهر وحسن المائية. ورأيت عند هذا الخبر فصًّا زنتهُ نحو من درهم لا يكاد البصر ان يقلع عنهُ ولا النظر ان يشبع منهُ لرقة مائهِ وحسن خضرتهِ وصفائهِ وذكر لي انهُ استخرجهُ بالنبش من بعض المواضع المذكورة بثغر الاسكندرية " . ثم قال والزبرجد منهُ اخضر مغلوق اللون ومنهُ اخضر مفتوح اللون معتدل الخضرة حسن المائية رقيق المتكشف ينفذهُ البصر بسرعة وهو اجود انواعهِ واثمنها

(٥) البَلَخش Spinel

وقال في البلخش والبنفش والجادي ان ثلاثتها من اشباه الياقيت كما كان الزبرجد والماس من اشباه الزمرُّد. وان البلخش ثلاثة انواع احمر ويسمّى المعقرب واخضر زبرجدي واصفر. واجودهُ الاحمر وليس لجميعهِ شيء من خواص الياقوت ومنافعهِ وانما فضيلتهُ شبههُ بهِ في الصبغ والمائية والشعاع لا غير وقيمة الجيد غالبًا على النصف من قيمة الياقوت النهي. والمشهور الآن من البلخش الاحمر او الياقوتي ويطلق عليهِ اسم الياقوت . والاخضر المغلوق وفيهِ حديد ومغنيسيوم والبلخش الكردي وهو اسود والزنكي وهو اخضر والحديدي وهو اسود ايضًا

وسمّي هذا الحجر بلخشًا نسبة الى بلخشان والعجم يقولون بدخشان وهي قاعدة من قواعد مدن الترك مما يتاخم الصين لها اقليم كبير فيهِ معدن هذا الحجر

(٦) البَنفش Hyacinth

قال ان اصنافهُ اربعة ماذنبي وهو احمر مفتوح اللون وهو اعلى انواعهِ وسألت بعض مشايخ الجوهريين في سبب تسمية هذا النوع بهذا الاسم فقال ان هذا الحجر شديد الشبه بحبيد الياقوت فاذا قوّم بدون قيمة الياقوت كانهُ يقول بلسان حال جودتهِ ماذنبي حتى

اقوم بدون قيمة الياقوت . ورطب وهو احمر قوي الحمرة . وشصبجي وهو اسود تعلوه حمرة يسيرة مطوسة بزرقة خفيفة . والسيادشت وهو اصفر مفتوح اللون وجميعه قريب الشبه من البلخش الا انه اكد لونًا. وقيمة البلخش على الربع من ثمن البلخش والماذني وهو اعلاه يسوى دينارين المثقال والاحمر على نصف ثمن الماذني والسيادشتي على نصف قيمة الاحمر

(٧) اليجادي Garnet

واليجادي حجر فيه حمرية وذلك انه احمر تعلوه بنفسجية كثير الماء لا شعاع له الا في الاقل وما كان منه له شعاع فهو يشبه الياقوت . واذا اخرج الحجر من معدنه وجد مقلعًا ليس له شفوف فاذا قطعه الصناع خرج لونه وظهر حسنه وانار ضوءه وصار له بريق واجوده ما اشتدت حمرته وهو لا يضيء الا اذا ركب على البطائن. وذكر في مكان آخر انه صنفان صنف احمر وصنف تشوبه صفرة خلوقية ويوجد في خراسان . وان من الاحجار حجرًا يشبه اليجادي وهو الماذنج وهو احمر شديد الحمرة الا انه مائل الى السواد وهو ارخص من اليجادي تحتاج لشدة ظلمته الى تفعير الخمر في اسفله حتى يرق والا لم يظهر ماؤه وثمن المثقال منه نصف دينار

(٨) الماس Diamond

اتفق كتاب العرب على وصف الماس وصفًا صحيحًا من حيث اشكاله الطبيعية وصلابته ولكنهم رووا عنه روايات كثيرة غاية في الخفاة من ذلك انه حجر ذهبي وقد ابتدأ خلقه ليكون ذهبًا وقالوا ان الماء كان في معدنه فلما سخنته الحرارة تبين الماس الجزء الذي سخنته الحرارة فصار حجرًا فلما كثرت عليه الحرارة عرض فيه غلظ فصارت فيه لزوجية لغلظه وصار اشبه شيء بالزيبق وتوازن في ما بين رطوبة المعدن ويبسه . ولو انعقد بالتين ولم يفرط عليه اليبس وبالحلاوة مكان الملوحة لكان ذهبًا . وهلم جرًا من الاقوال السخيفة التي لا معنى لها . وذكر يعقوب بن اسحق الكندي في كتابه عن الاحجار ان قدر ما عاين منه ما بين الخردلة والجوزة وان اغلى ما شاهد منه ببغداد المثقال بثمانين دينارًا وارخص ما شاهد منه المثقال بخمسة عشر دينارًا . قالوا ومعدن الالماس بالقرب من معان الياقوت في جزيرة ذات عيون يستخرج من الرمل ويغسل على هيئة غسل دقاق الذهب المعروف بشأوة فيخرج الرمل من الخروطي ويرسب الالماس وتلك المعادن في المملكة المحاذية لسرنديب . وقال ابو العباس النعمان ان معدنه في سكالا قامرون في جبل ترابي يغسل عنه ترابه في السنة التي تكثر فيها

البروق . وقال الكندي انهُ يلتقط من حجار من معادن الياقوت . وقال يوحنا بن ماسويه الماس يوجد بوادٍ ببلاد الهند لا يصل الى اسفله احد من الناس . والماس في اسفل حجارة منثورة ما بين الخردلة الى الشعيرة يصعد الى البر الطري فيلقى في ذلك الوادي والثعبان تنظر اليهِ فتهوي خلفهُ فتحركهُ في الارض لتأكلهُ فيلتزق بهِ الماس ثم تكاثر عليهِ وتقتل فتطير بهِ فيسقط الماس ويلتقط . وهذه الثعبان معودة بذلك مرتبة لهُ . وقال الشيخ انهُ على نوعين البلوري والزبرجي والبلوري ابيض شديد البياض كلون البلور والزبرجي يخالط بياضهُ صفرة كلون الزيت وهو شبه لون الزجاج الفرعوني قال واخبرني بعض تجار الجوهريين من العجم المترددين الى بلاد الهند والصين لاقتناء نفائس الاحجار ان من الماس نوعاً لهُ شعاع عظيم اذا ظهر التقى شعاعهُ على ما يقرب منهُ حائطاً كان او ثوباً او وجه انسان بنور مختلف الضوء اشبه شيء بقوس قزح فان هذا الصنف من الماس يتخذهُ اكابر الهند حلياً يلبسونهُ للتجمل بهِ ولا يسمحون باخراجهِ من ايديهم البتة . وما لم يُلقَ الشعاع منهُ فهو الذي يستعملونهُ في قطع الياقوت ويخرجونهُ الى التجار

(٩) عين الهر Cat's-eye

قال الشيخ هذا الحجر عجيب الشكل وذلك ان الغالب على لونهِ البياض باشراق عظيم ومائية رقيقة شفافة الاَّ انهُ يرى في باطنهِ نكتة الى الزرقة على قدر ناظر الهر الناظر النور المتحرك على الدوام اذا حُرِّك القص تحرَّكت على خلاف جهة حركتهِ بحيث اذا اميل الى الجهة اليمنى مالت النكتة الى الجهة اليسرى وبالعكس فهو كناظر الطرف حقيقةً . واذا كسر الحجر او قطع على اقل الاجزاء ظهرت تلك النكتة في كل جزء من اجزائهِ . وابجودهُ ما اشتدَّ بياض ابيضهِ وشفيفهُ وكثرت مائية النكتة التي فيهِ وخفت حركتها وظهر نورها واشراقها وكان اذا اشرف وهو ساكن يرى فيهِ ماء كالموج متحرك كاشد ما يكون حتى يلقي نورهُ على ما يليهِ . فان كل زادت حركة تموُّجهِ حتى يظن ان فيهِ ماء

ثم قال واخبرني بعض من دخل الهند من الجوهريين انهُ رأى هذا الحجر في المعبد يعبَد كما تعبَد الاصنام قال وثمنهُ عندهم اغلى من ثمنهِ ببلاد العرب وهم بهِ اغبط وهو عندهم اعز . وذكر انهُ وقف على حجر منها بيع بمئة وخمسين ديناراً ولعلهُ لا يساوي في غير الهند عشر هذا الثمن وذلك لعلمهم من اسرار خواصهِ ما يجهلهُ غيرهم من الناس ووقوفهم عليها بالتجربة

وستم الكلام على بقية الحجارة الكريمة في الجزء التالي